الناطق الى حد الملاك الناعم فصرت تراه تام الخلقة والتكوين من حيث نفسه ومداركه ولكنه منحط كثيراً في المرتبة الحيوانية من جهة بدنه ومجموع اعصابه واذا كان حقاً مايقولون من ان العقل الصحيح يكون في الجسم الصحيح فغير بعيد اذا دامت الحال على هذا المنوال ان تضعف المدارك البشرية على التدريج فيصبح الانسان وهو لا قوة حيوان له ولا له عقل انسان

يا ليت قومي يعلمون

الى حضرة السيدة (القارئة) اوجه خطابي لا رادًّا على ردودها ولا سائلاً من جديد ولكن حرصاً على مبدأي وصوناً لشرفي ومنعاً لما فهمته السيدة من اني شديد الوطأة في التحامل على المرأة المسلمة حتى غضبت من اسئلتي واجوبتي كل سيدة شرفت قلمي باطلاعها على سطوري

ولقد تأسفت حيث اني لم اتعب نفسي واجهدها شديد الجهد واسرف ما ادخرت من راحة الجسم القليلة وراحة الفكر والعقل المعدودة في التسطير والتحبير لا فيما يعود على المرأة على العموم من الفائدة والمنفعة على قدر ما اتاني الله من العلم وخيركم من جاد بما عنده

وكنت اظن (وكما قالت حضرتها بعض الظن اثم) اني ان لم اشكر فلا اذم لاني لم ابحث في ابحاث تخص الرجل الذي هو مثلي بل المرأة التي لم تعدم متزوجاً ذاق مرارة الزواج فيكتب ما شاء فيها او لها او نادرة من جنسها فتطيل الابحاث وتوفي الموضوعات حقها ولكني تطفلت فما اكرمت

نفسي وما انا ممن يهينها . وانما هكذا خلق المصري ان اراد النفع ظن به الافساد او المصلحة العامة قيل هذا بعيد عن آداب الكتاب والمناظرة ولله في خلقه شؤون . لهذا اقفل باب السؤال والرد بعد ان افند ما جاء برد حضرتها فان اجابت فشأنها وان تنحت وسكتت فهي وماتريد . ولتعلم اني حافظ لها وهي مجهولة عندي الاعجاب بها وبذكائها وفطنتها وآدابها الفطرية لا الكتابية . مشغوف ببلوغي يوماً ما شريكة لي مثلها طالب من الله ان يجعل كل النساء المسلمات وفتياته ان لم يزدن عنها فمثلها وباقي صاحباتها

فلتقل لي ما هي اوجه غضبها وغضب اخواتها من فصولي وهل نسيت ما جاء في كلامها بهذا الجزء الاخير من الانيس الباهي من الرمز والتورية وها هي فصولي بين يدي الملاء يقرأها الكل معجبين بها لا من حيث الرأي فقط بل من حيث آداب المناظرة . ولقد قلت اني اكلم من لا اراها ولا اسمعها ولا اعرفها وليس لذلك اخرج من الادب الى الوقاحة او من اللطف الى الخشونة . وان تأثرت سيدة من الادب وهي تناظر غيرها في موضوع يهمها اكثر من غيرها من الرجال فحق لمناظرها ان يأسف لما قوبل به وهي القائلة اولاً « رأيت حفظاً لمبدئي الذي هو الاحتراس على مكانة النساء المسلمات ان اجيب حضرته ثانياً » فان كان الحرص فقط هو الذي ادى بها الى اجابتي فيا خيبة المسعى ويا بعد الرجاء ويا ويل الوطن والدين

وقد كنا ندخل في باب بحث ومناظرة فانقلب باحتراس فقط على مكانة النساء ؟ وهل انا اهين النساء بايراد ما يفيدهن ويفيد الرجال بهن ايضاً اذا كان هناك شيء من الحقيقة في كل ما اوردته من الدلائل . ولست ممن يدعي العزة عن النسيان او العصمة من الخطاء . ثم نسبتنا لعدم فهم

الاجوبة (اي لعدم فهم القصد كما تدعي) (او لعلي لم اظهر له حقيقة مرادي فاقول) فاحكمن يا سيداتي بيني وبينها . واني لم انسب حضرتها قط لعدم الفهم لاني احافظ على الاحساس ولا اجرح العواطف . فلمن اذن تحق الشكوى من مناظرة اخيه . قلت « ان الاختيار والاختبار سيان اذا كان الغرض واحداً » ومن يقول ان الاختيار هو عين الاختبار فلا يشك عاقل ان كلامه لا يفهمه الا الفلاسفة والراسخون في العلم . ومع كل حال فاني لا اناظر الان بل انفي عن نفسي تهمة وارفع عني عيباً كاد يلتصق بي على زعم حضرة السيدة

ثم قالت ضمن رد « معللة نفسها بقوله تعالى عسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » فما احسن هذا الاحتجاج المسكت

اما كان من الصواب اذن لمن عرف هذه الاية الكريمة والحكمة البالغة ان لا يشكو مما يكره وان لا ينطق بغير الرضى عن كل ما يكدره وما يسيئه فلماذا اشتكت حضرتها من حالة النساء المسلمات المصريات وقاست حالهن بحال الصينيات ونسبت الظلم للاب حتى قالت انه اذا اعطى ابنته شيئاً من الحرية بعد الجهد فانما يكون كمن يطلق عصفوراً من قفص وهو في الحقيقة في غرفة لا منفذ فيها فالطير اذن مسجون على كل حال

لله ما هذا التلون والتغيير ونفي الاثبات واثبات النفي ولعل حضرة السيدة لا تفكر بعد قولها تلك الآية في شقاء المرأة ولا تمدح من يساعدها في حياتها ولا من يعينها على متاعبها الحيوية ولا تكتب مثل ذلك

وقالت . ضمناً « يجب عليهم ان يراعوا خاطرها ويسألوها بلطف دون ان يروها انهم راضون به الخ »

فاقول ان التي لا تعرف حقيقة فكر والديها وحيلتهما عليها وقد عاشرتهما كل حياتها التي لا تنقص عن سبعة عشر عاماً دون ان تتركهما يوماً او ساعة هي لا شك مثل او ادهى وامر من ذلك الزوج الذي لا يعرف عادات وطباع واخلاق زوجته وقالت عنه انه مغفل فهي لا شك مغفلة وغبية خارجة كما تقولين عن هذه القضية بل جاهلة بل حرام ان يرزقها الله زوجاً صالحاً طيباً تفسد اخلاقه بجهالتها واستسلامها لكل قول من اهلها وجيرتها اذ بذلك لا تميز بين العدو والصديق ولا تفرق بين الغث والثمين ولا بين الصالح والطالح اليس كذلك ام هذا تحامل ايضاً .. وخروج عن الادب كما تنسبين لنا ذلك . سامحك الله

ثم تقولين انتقاداً على المفسرين لكتاب الله (لا علي انا) لماذا اولوها هم لغرض آخر والمعنى ظاهر . اما جوابي على هذا فهو ان ضميرك يجيبك عليه ان هكذا يجب التسليم لما قاله الله صريحاً فلا انتقاد عليه . وهل انا وحضرتك اعلم من اولئك الائمة والفلاسفة الذين صرفوا كل اياهم في تفسير تلك الآيات القليلة الكلم الغريبة التأويل والتفسير المعجزة ببلاغتها عظماء فلاسفة القرون الخالية والحاضرة . وقالت ضمناً « بل معنى كلامي ان البنات لا يعرفن ينتقدن الزوج فيرضى به الوالد حسبما يوافق ذوقه وربما لا يوافق ذوقها الخ » فهل من قدرة ربانية اووحي سماوي اتمكن بهما ان افهم هذا الطلسم الغريب الذي لا هو اثبات ولا استفهام ولا صراحة ولا ابهام ولا ظهور ولا اضمار ولا فصيح ولا معجم . كيف لا يعرفن ينتقدن الزوج ثم كيف لا يوافق اذواقهن . وكيف لا نرضى بانتقاء الاب له وكيف نتركه يرضاه وكيف نشكو بعد ذلك

وقالت ايضاً « كيف لا يكون مضطراً لاتباع العادات وقد وجد اباه وقريبه وصاحبه الذي في زمانه لا يطلبون هذا الطلب بل صارت عادة عندهم ان يكتفوا بما يصفه لهم النساء الخ»

فاقول نعم لا ينبغي على المهذب المؤدب والمتعلم العاقل (الذي لا اتكلم في كل محاوراتي وفصولي على غيره) ان يكون مضطراً اذ هو حر يرشده عقله السليم الى اتباع ما يراه مفيداً وهل يرضى الهم والنكد لنفسه حر يمكنه ان يبعدهما عنه

وهنا يجمل جداً ان اسأل الناس (خوفاً ان تتكدر السيدة من سؤالي لها) سؤالاً : ايها المسلم مثلا هل انت مسلم برغبتك او متبع هذا الدين لان اباك وجدك وخالك وعمك كذلك اللهم اذا كان لتوارث في الدم وتسليم بغير بحث ولا تدقيق فالاوفق ان لا يكون لك دين وان كان باختيار (لا باختيار) وبحث فانت مسلم حر . فما الجواب اذن على العادات واتباعها !!! وان كان هناك شيء من المستحسن المتبع ولكن هذا لا يمس الامة ولا الدين ولا الوطن في شيء كاتباع الناس عادة الراحة في القيلولة او عدم التعب في الصيام او اطعام الناس بكرم زائد في الاعراس والمآتم وما زاد عن هذا فهو تبذير واسراف ذمهما الله ومنعهما بقوله (ان المبذرين كانوا الاية) وغير ذلك وهذه ابحاث اخرى بعيدة عن هذا البحث وغير مهمة لدينا في مثل هذا الموضوع الجليل

وقد قلت اثباتاً لقولي هذا اني مستعد لطلب رؤية الزوجة قبل العقد عليها . وانا نفسي الذي اتكلم عن نفسي لا يقال عني ذلك . فما معنى ان العادات صارت محترمة اكثر من الدين وقد نبذت انا هذه العادة او لست

بمسلم اذن او لست من نسل المسلمين

واذا كان الاستسلام لكل امر في الوجود صار حجة في الدفاع والمناظرة فالحكم لا شك قاس على من يدخل مع صاحب ذلك الطبع في مناظرة او بحث وعليه اقول ولن ازال اقول ان النساء هن المتبعات العادات والتقليد عموماً والرجال الادنياء الاغبياء الجهلاء فقط الذين اتفقنا على اخراجهم من هذا البحث نحن الاثنان فلماذا اذن تستشهدين بهم في اقوالك عليهم ولقد فرضناهم في حد العدم

اما قول حضرتك « ان المصري ترك كل مفيد وقلد ضده حتى ترك الدين وشرب الخمر » فليت شعري هل شرب الخمر من عادة اجداده او ترك الدين كذلك وهل الاكل على طريقة الافرنج عملها سلطان او امام او عالم في صدر الاسلام قبل الاختلاط او التزيي بازياء الاجانب كان من نفس طباع الماضين ثم ترقت وتحسنت حتى وصلت الى هذا الحد من الكمال والاتقان كلا فان اجدادنا لم يعرفوا البنطلون ولم ياكلوا بالشوكة كما تقولين ولم يشربوا الخمر فاين العادة اذن حتى يتبعوها ؟ وهذا عصيان فقط نعم لهم عادات هي اوامر دينية في الحقيقة كالتعلم والتعليم وكل الرجال المقصودين من بحثنا يتعلمون وكل النساء لا يتعلمن (والنادر لا حكم له) لان النساء اتبعن عادة القدم حتى الان والرجال خالفوها فكيف تقولين اذن

والرجال يجاهدون في سبيل الله كما امرهم الله والمرأة لا تفعل غير طبخ الطعام (وليتها تتقنه) وتغذية الاطفال وهي ايضاً عادة توارثها النساء فاتبعنها حتى فضلنها على الدين الذي امرهن ان يتعلمن وان لا يتحجبن الا ما حرم الله كما اجمع عليه المفسرون وها هو الامام السقفي والتأويل والبيضاوي

والكشاف امام العموم والرجال كرام والنساء بخيلات وهذا نهي جعلته امراً فصار عادة لا يعرفها الرجال (الا النادر) والمرأة حتى المتعلمة تخاف من الارض اذا صبت عليها ماء حاراً والرجل ليس كذلك

وهل صاحبات الرفعة والسمو والدولة من اكابر العائلة المالكة « ببعض بلاد الاسلام » غير متعلمات في هذا العصر حتى نخرجهن من قضية الزار ونظرية الايمان بالمس من العفاريت والجن . هل قال الله ذلك . هل اثبت العلماء شيئاً من هذا وهو اكبر عادات النساء المسلمات اتباعاً واكثرها شيوعاً وهل غيرت المرأة لباسها ذلك الموشى المطرز او تركت تلك الالوان الاضافية من تزيين وجهها وهل امر بذلك الخالق او اثبته العلماء والائمة وقادة الامة وهو عادة راسخة في المرأة المسلمة لا في الرجل وهل قطع رجل زوجته اربا ورمى بقطعها في شوارع العاصمة بولاق غيرة منه عليها لانها تزوجت غيره كلا هي المرأة المسلمة التي لا تبرح تتقد فيها الغيرة والحسد حتى ربما ادى بها الى الجنون والطيش ولا اثبت للمؤدبات المتعلمات غير الغيرة المعتدلة فقط التي كانت عادة فصارت طبعاً بل صارت دماً بل صارت قطعة من قلوبهن واكبادهن

والغريب انهن لا يغيرن هذه الطباع الغريبة الرديئة المسماة عادات ثم ينسبنها للرجال ويالله العجب كل يدافع عن جنسه ولو الابس الباطل ثوب الحق

اما الذي اكتفى وعرف فقط اخلاق وطبائع الفتاة الخفية وتمكن من درس وامتحان احوالها في عشر دقائق فهو غريب عجيب اتى معجزة للناس ندعو الله ان يؤتينا بعض ما اتاه

ثم قالت ان من يخجل لا يقدر على الكلام . ولم الخجل اذن من الكلام وكان الامتناع عن الرؤية ابعد للخجل . وكيف يخجل من في بيته

من قادم عليه ولا يخجل القادم على من لا يعرفهم خصوصاً وفي نفسه هذا الغرض ولا في عمره راهم مرة واحدة . هل تخجل المرأة المسلمة من خطيب اتاها في بيتها لانها لم تتعود رؤية الرجال . كلا . ولكن كان الاولى ان تخجل من الكلام لانها لم تتعود الكلام مع الرجال وهذا اضمن حجة واقرب للعقل في البرهان والاثبات

واني لا اوافق حضرتها الا في نقطة واحدة فقط وهي ان اغلب الرجال المقصودين ما برحوا يمنون النفس بزواجهم بامرأة غنية تساعدهم على هموم الزمان وذلك لا اقدر ان اقول عليهم فيه قدحاً او ذماً بعد ما وصفتهم من مبدأ الكتابة الى الان بالعلم والفضل والادب فكأن النفس لا تقنع من الدنيا ولا ترضى باي حال . ولكني لا ارى مثل ما هم يرون واحب ان لا اتزوج امرأة غنية فتشقيني ولا فقيرة فتعيبني وانما من طبقتي المتوسطة فلا اشقى بها ولا اتعب ولا تشقى بي ولا تتعب وتقضي معي كما اقضي معها ايام الحياة القصيرة لا ابخل عليها بكل ما اصنعه لنفسي واراه واجباً من كل امور الحياة

ولعل حضرة السيدة تضرب صفحاً عما تسميه لوماً لانه لا يلتفت اليه الا الرجل اللئيم الدنئ او المرأة اللئيمة الدنيئة اللذان اتفقنا على اخراجهما من بحثنا هذا . فمن يقم بواجبه بمقتضى ما امر الله وطابق الادب والطبع فهو لا بد من عمله وليلم اللائم وليرغي وليزبد وقد حفت الجنة بالمكاره فما هو في اهل الفضل بمعدود حتى ينفع لومه وكل اب او ولي قضى على حرية ابنته في اختيارها شريك حياتها بنفسها ورغبتها فانما هو ظالم وهذا لم يأمر به الله ولا ازيد في ذلك باكثر مما مضى

اما عدم السماح للفتاة بعدم الخروج للتنزه مثلاً او الجلوس مع النساء

فهذا لامرين الاول ان اهلها اما من الافاضل والزائرات لسن كذلك فالمنع اولى واما لجهل اهلها عموماً وغباوتهم فلو كان بعضهم لقدرت وتمكنت ولكن كيف تفعل غير الصبر لاحكام الدهر حتى تخرج من سجنهم الى قصر زوج فاضل مهذب عالم يقضي لها كل امورها ويحبها حباً صافياً

اما الجواب المختص باللوم والعار الخ فاقول لك اننا لا نتكلم عن الكثيرين والكثيرات ممن لم يتعلموا كما تقولين بل لندعهم في غيهم وطيشهم وجهلهم يعمهون فهؤلاء لا هم في العير ولا في النفير وصرخة الجاهل ضائعة وصفقته خاسرة وهو عالة على جسم الوجود ومنقصة في تمام النظام الدنيوي فهو لا يؤثر في العضو العامل ولا يوقف تيار الحركة . انظري ماذا يفيد لو لام لائم وقال ان فلانة تكتب في الجرائد والمجلات وان فلاناً يجيب على اقوالها ويسألها وهي تجيبه ماذا يقال . يقول عنها الجهلاء ما يقولون من فكرهم السيئ ورأيهم الساقط . ويقول الفضلاء والادباء والعلماء ما شاء الله ابنة بمثل هذا الاقتدار تكتب في الجرائد وتناظر بعض الناس بفصول ومقالات لا تنقص شيئاً عن كتابة اعظم الكتاب في اهم المجلات الكبرى انظري بالله الفرق ثم احكمي . واتبعي احسنها

تقولين « ان طلاب الكمال قليلون وطلاب الجمال هم الاكثرون وان المهذب لا يقول عما رأى من دمامة الفتاة وغير المؤدب يقول فتنفر الناس منها الخ » فالى متى اقول اني لم اتكلم ولم اتفق معك على غير المؤدبين المهذبين . وقبل الان كانت الشكوى من عدم رؤية الزوج زوجته ورؤيتها اياه فلما رأينا لذلك تخلصاً وفتحنا له بابا انقلب الموضوع حتى اصبحنا نخاف ان نريه وجه الفتاة فيذمها في الخارج فيبعد عنها الطلاب . اذن فكيف العمل

مع المسلمات المصريات كلما داوينا لهن جرحاً سالت منهن جروح وكلما قلنا لهن هذا حل المسألة اوقعتنا في مشكلة ولله في خلقه شؤون

اما احتجاب ابنة العم عن ابن عمها اتباعاً للامر ومخالفة الاهل فليس ذلك عادة في الرجال بل في النساء ايضاً لان الوالد عندما يدخل البيت ترتعد فرائص البنت فتحجب وجهها عن ابن عمها الذي قبل دخول ابيها كانت معه على مائدة واحدة بغير حجاب اليس كذلك . وكل منا له ابنة عم وابنة خال ومن له اب في حياته او ام فلينظر لحالهما مع باقي اقاربه يعلم صدق ما اقول

واذا كنت انا وحضرتك قد اتفقنا على شيء من الكتابة في موضوع خطير كهذا وعلى رجال رضينا عنهم ونساء كذلك وآخرين وآخرات اخرجناهم من بحثنا فكيف تقولين اني شددت لهجتي ضدك ونسبتك للكفر على اني انا وانت نتكلم عن الغير او عن شيء عمومي للجمهور كله وانا نعم لا ادري اذا كنت تحترمين الدين ام لا لكنني اظن انك محافظة عليه لانك مسلمة ولان كتابتك تدل على ذلك

وكيف علمت اني اظن بحضرتك ظناً سيئاً . وما هو دليلك ألقولي « كيف تدعى سيدة الاسلام وهي تحترم العادات اكثر من الدين » أمن هذه العبارة وتأويلها ظاهر ان الذين يفضلون العادة على الدين فكأنهم اتبعوا شرعاً جديداً واوامر غير التي امرهم بها الله . ولما كان الكلام على المسلمين فهم حينئذ لا يعرفون القرآن بل يعرفون الطباع والعادات واتخذوها شرعا جديداً لهم فكيف يدعون الاسلام اذن ... وهو في الحقيقة دفاع عنا رجالاً ونساء فتأملي قليلا تدركي ضميري

ولماذا لا تعتقدين اني شديد الحرص على وجوب اتباع ديني الست مسلما

ثم تأملي في كلامك تعرفي خطأك فان تستدلي على اني انسب لك الكفر وسوء الظن بقولي كيف تدعى سيدة الاسلام وهي تحترم العادات اكثر من الدين (فسيدة) نكرة لا معرفة وفي نفس هذه الفقرة تقولين ما نصه بحروفه : (حتى انه من كثرة تأثره وانفعاله افتكر اني انا المحترمة العادات او الدين او معضدة لاصحابها او راضية بها فكتب ما كتب) فهل اجيب ام الجواب ظاهر من نفسه يفهمه الاصغر قبل الصغير

واترك الان القلم اختصاراً من جهة وطلباً لراحة الجسم الذي لا اشفق عليه والفكر الذي لا اريحه لحظة واحدة ثماني عشرة ساعة اتباعا لامر حضرة السيدة في الاكتفاء بما تقدم واغلاقا لهذا الباب كما ارادت وشاءت والاكتفاء بما كان ان رضيت وان كان الموضوع لم يزل في اول ادواره

وليسامحني حضرات السيدات الفاضلات فيما افتكرنه مخالفاً لمبدأ المناظرة واني لا اطلب منهن مسامحتي فيما ادعينه علي بل سامحكن الله جميعاً وهداني واياكن لمنفعة الاهل والوطن وبلغكن المنى والمرام ويا ليت قومي يعلمون

مصري مسلم
لم يتزوج

بعض بدع غريبة

ماكادت المدنية تنتشر بين الناس وتسبب اجتماعهم واتصالهم حتى نشأت بينهم شتى البدع وجم المذاهب فمنها ماكان صالحاً فدام وعم وهو

هذه المذاهب المعروفة ومنها ماكان اقل صلاحاً فدام ولكنه كان قليل الانتشار قليل الاحزاب وهو هذه البدع والجمعيات الدينية وسواها الموجودة في كل صقع ومنها ما ظهر بطلانه وفساده فلم يكد ينتشر حتى انطوى وبقي اسمه وكيفيته في بطون الاوراق

ولكن الناس ما فتئوا منذ تجمعوا وهم يخترعون كل حين بدعة جديدة ويبتدعون كل حقبة مذهباً غريباً حتى صارت الدنيا مملوءة بمفرق الجمعيات والاحزاب والمذاهب مشتقاً بعضها من بعض ومعاكساً احدها الآخر وهو ما يقولون ان المدنية تقضي به لان مواهب الاختراع لا ينبغي لها ان تقف عند حد العمل بل لها ان تمتد الى الرأي والفكر

ولقد يعلم القراء ما في الدنيا الان من بدع صادقة وكاذبة وما ينشر فيها من جمعيات قوية وضعيفة ولذلك لا نذكر لهم عن المشهور منها شيئاً لانه ان لم يعرف بتفصيله وبيانه فهو معروف بجملته واسمه ولكننا ننقل لهم شيئاً من غرائب تلك البدع الموجودة الان على سبيل الفكاهة والعلم بما ولده ذهن الانسان في هذا العهد عهد الغرائب

فلقد حدثوا انه يوجد الان ببلاد الانكليز حزب غريب بين اهلها قد آلى اعضاؤه على نفوسهم ان لا يكونوا قضاة او محلفين في نوادي العدالة والشريعة وقد نشأ هذا المذهب منذ ثلاثين عاماً ولا يزال موجوداً للان .

ومما يتعين على رجاله بحسب قانونه ان لا يلبوا مطالب الحكومة اذا استدعتهم ليكونوا محلفين في محاكمها وذلك لانهم يعتقدون ان العدالة التي قضت على الحكومة باستدعائهم لاظهار تلك العدالة تقضي عليهم ايضاً بان يعدلوا لنفوسهم ويكونوا احراراً في انفاق اوقاتهم وتصريفها ولكن الحكومة قد